مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)



الاتجاهات العلمية لكتب التفسير(*)

د/ محمد بن راشد بن محمد البركة
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة بجامعة القصيم - السعودية
brkh@qu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 3/7/2025 تاريخ قبوله للنشر 13/8/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الاتجاهات العلمية لكتب التفسير

د/ محمد بن راشد بن محمد البركة
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة بجامعة القصيم - السعودية

الملخص

انتهج البحث المنهج الاستقرائي لكتب التفسير العامة واتجاهاتها العلمية، والمنهج الوصفي في دراسة الاتجاهات السبعة التي تناولها هذا البحث، وهي: الاتجاه الإسنادي والحديثي، والاتجاه العقدي، والاتجاه الفقهي، والاتجاه اللغوي والنحوي، والاتجاه البلاغي، والاتجاه العلمي، والاتجاهات المعاصرة، وتحتها أربعة: الاتجاه العقلي المعاصر، واتجاه التفسير الموضوعي، واتجاه التفسير بحسب ترتيب النزول، والاتجاه الحداثي.

مع السعي في دراسة كل اتجاه منها إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- إبراز التفاسير الرائدة والممثلة لكل اتجاه من تلك الاتجاهات.

٢- تسمية أهم كتب التفسير التي تدخل تحت كل اتجاه منها عمومًا.

٣- الإشارة إلى أشهر الدراسات التي اعتنت بدراسة تلك الاتجاهات بصورة خاصة.

وكان من أهم نتائج البحث، ما يلي:

١- كان الاتجاه اللغوي والنحوي أكثر الاتجاهات حضورًا في كتب التفسير، وكان أكثرها خطورة وأهمية هو الاتجاه العقدي؛ نظرًا لكون المخالف فيه مبتدعًا، يُحذَّر من مطالعة تفسيره إلا لعالم يمكنه التحرُّز مما فيه، وتبيَّن أنه ليس هنالك ارتباط بين الاتجاهين العقدي والفقهي عند المفسرين.

٢- ظهر أن تفسير الطبري هو أجمع كتاب في الاتجاه الإسنادي، وتفسير ابن كثير في الاتجاه الحديثي، وتفسير الفخر الرازي في الاتجاه العقدي عمومًا، وكشاف الزمخشري في الاتجاه العقدي المعتزلي، مع ريادته للاتجاه البلاغي، والتحرير لابن عاشور في كونه خاتمة التفاسير البلاغية وأوسعها، والجامع للقرطبي في الاتجاه الفقهي، والبحر لأبي حيان في الاتجاه النحوي، والمدرسة العقلية الحديثة في الاتجاه العقلي المعاصر.

ومن أهم توصيات البحث: أنه بعدما تبيَّن بأن موضوع الاتجاهات العلمية لكتب التفسير لا يمكن الإحاطة به في مثل هذا البحث الوجيز؛ فقد جاءت التوصية في خاتمته بقيام دراسات فيه تكون أوسع تناولًا، وأكثر إحاطةً وعمقًا وتحريرًا، ويكون محلُّ البحث فيها: التفاسير العامة التي تتناول جميع آيات القرآن.

الكلمات المفتاحية: اتجاهات التفسير، مناهج المفسرين، كتب التفسير، التفاسير.

The scholarly approaches in Quranic exegesis

Dr. Muhammad bin Rashid bin Muhammad Al-Barakah
Associate Professor, Department of Qur'an and its Sciences,
College of Sharia, Qassim University - Saudi Arabia

Abstract

This research employs an inductive approach to general exegesis books and their scholarly approaches, and a descriptive approach to study the seven approaches addressed in this research: the chain of transmission and hadith approach, the doctrinal approach, the jurisprudential approach, the linguistic and grammatical approach, the rhetorical approach, the scientific approach, and contemporary approaches, which are further subdivided into four: the contemporary rational approach, the thematic interpretation approach, the chronological order of revelation approach, and the modernist approach.

The study of each approach aims to achieve the following objectives:

1- To highlight the leading and representative exegeses of each of these approaches.
2- To name the most important exegesis books that fall under each of these approaches in general.
3- To indicate the most prominent studies that have focused specifically on these approaches.

Among the most important findings of the research were the following:

1- The linguistic and grammatical approach was the most prevalent in books of exegesis, while the doctrinal approach was the most significant and dangerous, given that anyone who disagreed with it was considered an innovator, and his exegesis was discouraged from being read except by a scholar capable of discerning its contents. It was also found that there was no connection between the doctrinal and jurisprudential approaches among the exegetes.
2- It emerged that al-Tabari's exegesis is the most comprehensive book in the chain of transmission approach, Ibn Kathir's in the hadith approach, Fakhr al-Razi's in the doctrinal approach in general, al-Zamakhshari's al-Kashshaf in the Mu'tazili doctrinal approach, while also being a pioneer in the rhetorical approach, Ibn Ashur's al-Tahrir as the culmination and most comprehensive of the rhetorical exegeses, al-Qurtubi's al-Jami' in the jurisprudential approach, Abu Hayyan's al-Bahr in the grammatical approach, and the modern rationalist school in the contemporary rationalist approach.

However the most important recommendations of the research is that given the topic of the scholarly approaches in books of exegesis cannot be fully addressed in such a brief study; The recommendation concluded with a call for broader, more comprehensive, in-depth, and more thorough studies on the subject, focusing on general interpretations that address all verses of the Quran.

Keywords: exegesis approaches, interpretations, Methodologies of Quranic commentators, Books of Quranic exegesis.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن معرفة الاتجاهات العلمية لكتب التفسير وتحريرها من الأهمية بمكان، وقد أشار إليه العلماء والمؤلفون في علوم القرآن، عند كلامهم على المدونات التفسيرية وتنوعها بحسب العلوم الغالبة على مؤلفيها، كما سيأتي شيء من ذلك في التمهيد.

ثم اتَّسع الكلام عليه في الكتابات المعاصرة، التي اختصت بدراسة مناهج المفسرين واتجاهاتهم، لكن تلك الكتابات تقصر الدراسة والتمثيل لتلك الاتجاهات على المؤلفات الخاصة بها، مثل كتب أحكام القرآن في الاتجاه الفقهي، وكتب الغريب في الاتجاه اللغوي، وكتب إعراب القرآن في الاتجاه النحوي، وكتب معاني القرآن فيهما، دون ذكر في الغالب لكتب التفسير العامة التي لها عناية بتلك الاتجاهات، أو التمثيل بها بصورة ظاهرة.

وقد يكون من الأسباب وراء ذلك: الاكتفاء بالتصنيف المشهور لكتب التفسير، إلى كتب تفسير بالمأثور وكتب تفسير بالرأي، والرأي إلى محمود ومذموم، دون إعادة تصنيفها مرة أخرى بحسب اتجاهاتها العلمية.

وإذا جاءت الإشارة إلى الاتجاه العلمي لبعض كتب التفسير؛ فإنها تكون إشارة عابرة، ودون تتبع واستقصاء لجميع التفاسير الداخلة تحته؛ لكونه قد ذكر أصلًا بطريقة غير مقصودة في الغالب.

وقد حاولت في هذا البحث الوجيز لملمة أطرافٍ من هذا الموضوع الواسع، بطريقة مختصرة، وخطوات محدَّدة؛ لعله يكون لبنة تفتح الباب لدراسات أوسع تناولًا، وأكثر عمقًا وتحريرًا، كما تمنى ذلك الدكتور مساعد الطيار؛ عند إشارته إلى طرف منه، وقوله إنه موضوع واسع، ويحتاج إلى بسط أكثر(١).

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من جهتين:

١- العوز والقصور الشديد في تناول موضوع الاتجاهات العلمية لكتب التفسير، والاكتفاء بالإشارة إلى أطراف منه هنا وهناك، مع حاجته لدراسات واسعة ومحررة.

٢- حاجة الباحثين في الدراسات القرآنية خصوصًا، وقراء كتب التفسير عمومًا، إلى مثل هذا الموضوع الذي هو كالدليل الهادي لهم، للتمييز بين كتب التفسير الكثيرة، وتصنيفها بصورة أكثر دقة وفائدة.

مشكلة البحث:

الأسئلة المحدَّدة الذي يسعى هذا البحث للإجابة عنها هي:

١- ما أبرز الاتجاهات العلمية لكتب التفسير؟

٢- ما التفاسير الرائدة والممثلة لكل اتجاه؟

٣- ما أبرز كتب التفسير التي تدخل تحت كل اتجاه منها عمومًا؟

٤- ما أشهر الدراسات التي اعتنت بدراسة تلك الاتجاهات بصورة خاصة؟

---

(١) انظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، للطيار: ص٤٤.

أهداف البحث:

يهدف البحث في هذا الموضوع إلى تحقيق أمور أربعة:

١- ذكر أبرز الاتجاهات العلمية لكتب التفسير.

٢- إظهار التفاسير الرائدة والممثلة لكل اتجاه من تلك الاتجاهات.

٣- تسمية أهم كتب التفسير التي تدخل تحت كل اتجاه منها عمومًا.

٤- الإشارة إلى أشهر الدراسات التي اعتنت بدراسة تلك الاتجاهات بصورة خاصة.

الدراسات السابقة:

الكتابات العلمية السابقة في هذا الموضوع عبارة عن إشارات متناثرة في الغالب، وقد يوجد دراسات خاصة ببعض الاتجاهات، وخصوصًا المعاصرة منها، أما الكتابة فيها مجموعة، بالطريقة التي سرت عليها في هذا البحث؛ فلم أجد مَن سبقني إليه.

حدود البحث:

كتب التفسير التي تدخل في حدود هذا البحث: هي التفاسير العامة، التي تتناول جميع آيات القرآن، أما كتب التفسير الخاصة ببعض الاتجاهات، مثل: تفاسير آيات الأحكام، وكتب غريب القرآن، وإعرابه، ومعانيه، فهي لا تدخل في هذا البحث أصالة.

منهج البحث وإجراءاته:

انتهج هذا البحثُ المنهجَ الاستقرائي لكتب التفسير العامة واتجاهاتها العلمية، والمنهج الوصفي في دراسة كل اتجاه من تلك الاتجاهات.

مع الأخذ فيه بالإجراءات العلمية المعروفة في مثل هذه البحوث، لكن دون التعريف بالمفسرين المذكورين في البحث، نظرًا لعددهم الكثير جدًا؛ ولأن ذلك سيخرج بالبحث عن مقصودة، كما التزمت غالبًا عند ذكر كتب التفسير: أن أذكر أسماءها وأسماء مؤلفيها، لكن باختصار يناسب طبيعة هذا البحث الوجيز.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهدافه وحدوده والدراسات السابقة ومنهج البحث وإجراءاته وخطته.

التمهيد: إشارة العلماء إلى اتجاهات كتب التفسير

المبحث الأول: الاتجاه الإسنادي والحديثي

المبحث الثاني: الاتجاه العقدي

المبحث الثالث: الاتجاه الفقهي

المبحث الرابع: الاتجاه اللغوي والنحوي

المبحث الخامس: الاتجاه البلاغي

المبحث السادس: الاتجاه العلمي

المبحث السابع: الاتجاهات المعاصرة

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: إشارة العلماء إلى اتجاهات كتب التفسير

من أوائل من أشار إلى اختلاف اتجاهات المفسرين في تفاسيرهم وتعددها: بدر الدين الزركشي في كتابه الجامع (البرهان في علوم القرآن)، ثم تبعه جلال الدين السيوطي في كتابه الحافل (الإتقان في علوم القرآن) بكلام مقارب لكلام الزركشي.

ونص كلام الزركشي في أثناء مقدمته للكتاب في الفصل الذي عرَّف فيه أولًا بعلم التفسير، ثم قال: "وقد أكثر الناسُ فيه من الموضوعات؛ ما بين مختصر ومبسوط، وكل منهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه، فالزجاج والواحدي في (البسيط) يغلب عليهما الغريب والنحو، والثعلبي يغلب عليه القصص، والزمخشري علم البيان، والإمام فخر الدين علم الكلام وما في معناه من العلوم العقلية"[١].

أما كلام السيوطي فهو أطول منه وأكثر تفصيلًا، وهو في النوع الأخير من كتابه في نوع (طبقات المفسرين)؛ حيث قال: "ثم صنَّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه، فالنحوي تراه ليس له همٌّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته؛ كالزجاج والواحدي في (البسيط)، وأبي حيان في (البحر) و(النهر).

والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاؤها، والإخبار عمن سلف سواء كانت باطلة أو صحيحة؛ كالثعلبي، والفقيه يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد، وربما استطرد إلى إقامة أدلَّة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية أصلًا، والجواب عن أدلة المخالفين؛ كالقرطبي.

وصاحب العلوم العقلية - خصوصًا الإمام فخر الدين - قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء؛ حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورَد للآية... والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد؛ بحيث إنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعًا له فيه أدنى مجال سارع إليه، قال البلقيني: استخرجت من (الكشاف) اعتزالًا بالمناقيش"[٢].

أما المعاصرون فقد أكثروا من ذكر هذه الاتجاهات وخصوصًا للتفاسير المعاصرة، حتى إنك تجد ذلك في عناوين دراسات عديدة؛ مثل (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) للدكتور عبد المجيد المحتسب، و(اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) للدكتور فهد الرومي، وغيرها كثير.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١/١٠٥-١٠٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ٦/٢٣٤٣-٢٣٤٥.

المبحث الأول: الاتجاه الإسنادي والحديثي

هناك تداخل بين النوعين المذكورين في العنوان؛ حيث إن معظم علوم الحديث قائمة على الأسانيد في الأصل، كعلم الرجال، والجرح والتعديل، ودراسة المرويات، إلى غير ذلك.

وقد كان تدوين التفسير في عصر الصحابة والتابعين، عبارة عن مرويات مكتوبة (صحف ونسخ تفسيرية)، إلى أن جاءت التفاسير الجامعة، في أواخر عصر أتباع التابعين، أي في أواخر القرن الثاني، ثم توسَّعت في القرنين الثالث والرابع، فجمعت تلك المرويات والصحف أو النسخ التفسيرية في كتب جامعة(١).

والمقصود هنا ذكر هذا النوع الأخير، أي التفاسير الجامعة المسندة، للتفسير النبوي وتفاسير الصحابة والتابعين وأتباعهم.

ولابن تيمية نصٌّ في مقدمته في أصول التفسير، سمَّى فيه خمسة عشر تفسيرًا من التفاسير التي تنقل تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وهو قوله: "فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفًا... مثل: تفسير عبدالرزاق، ووكيع، وعبد بن حميد، وعبدالرحمن بن إبراهيم دُحيم، ومثل: تفسير الإمام أحمد، وإسحاق ابن راهويه، وبقيّ بن مخلد، وأبي بكر بن المنذر، وسفيان بن عيينة، وسُنيد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي سعيد الأشج، وأبي عبدالله بن ماجه، وابن مردويه"(٢).

وللحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه (العجاب في بيان الأسباب) كلمة محرَّرة في هذا الموضوع، ذكر فيها أهم التفاسير الجامعة للتفسير النبوي، وتفسير الصحابة والتابعين، حيث قال: "فالذين اعتنوا بجمع التفسير من طبقة الأئمة الستة: أبو جعفر بن جرير الطبري، ويليه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، وأبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الرازي، ومن طبقة شيوخهم: عبد بن حميد بن نصر الكشي، فهذه التفاسير الأربعة قلَّ أن يشذَّ عنها شيء من التفسير المرفوع، والموقوف على الصحابة، والمقطوع عن التابعين، وقد أضاف الطبري إلى النقل المستوعب أشياء لم يشاركوه فيها..."(٣)، وذِكرُه في الآخر امتيازَ الطبري عن تلك التفاسير بالنقل المستوعب، أي إنه من أكثرها استيعابًا، إن لم يكن أكثرها، ثم ذكر له في بقية كلامه ميزات أخرى امتاز بها تفسير الطبري عن تلك التفاسير.

وقد حاول السيوطي في كتابه الحافل (الدر المنثور في التفسير المأثور) جَمْعَ ما وقف عليه مسندًا من التفسير النبوي، وتفسير الصحابة والتابعين وأتباعهم، لكن مع الاكتفاء بعزو المرويات إلى المصادر التي ذكرتها بالأسانيد، ثم إنه سمَّى مصادره التي عزا إليها في مقدمة الكتاب، لكنه لم يستوعبها جميعًا، وكثير منها ليس من كتب التفسير، وهذا الجزء من المقدمة الذي حوى تسمية تلك المصادر خلت منه جميع طبعات (الدر المنثور)(٤).

---

(١) انظر: أسانيد نسخ التفسير، للفقيه: ص٢٧، تفسير السلف، للواصل: ص٢٨٦، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، للطيار: ص٣٣.

(٢) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: ص٧٩-٨٠، وانظر تعليق المحقق د. عدنان زرزور على هذا النص، ففيه تعريف بهؤلاء المفسرين، وذكر في آخره أن هذه التفاسير الخمسة عشر بعضها وصل إلينا، وبعضها مفقود أو منقوص، وانظر أيضًا: شرح مقدمة في أصول التفسير للطيار: ص١٨٢.

(٣) العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر: ١/٢٠٢-٢٠٣.

(٤) انظر: بحثًا بعنوان (مقدمة تفسير الدر المنثور للسيوطي بين المخطوط والمطبوع) للدكتور حازم حيدر، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السنة(١)، العدد(١).

وقد خرج في الآونة الأخيرة عمل علمي مبارك، هو من مفاخر الدراسات القرآنية المعاصرة، وهو (موسوعة التفسير المأثور) الصادرة عن معهد الإمام الشاطبي في جدة، بنى فيها أصحابها على كتاب (الدر المنثور) للسيوطي، مع استدراك ما فاته، وزيادة تعليقات خمسة من أبرز المحققين في التفسير(١).

وقد عدَّد أصحاب الموسوعة مصادرهم فيها، وجاءت على خمسة أنواع، الأول منها: كتب التفسير المسندة المطبوعة، وذكروا تحته (١٣) مصدرًا(٢).

ويمكن ذكر أهم تلك التفاسير المسندة على النحو التالي:

- تفسير يحيى بن سلام.
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني.
- تفسير ابن جرير الطبري.
- تفسير ابن أبي حاتم.
- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان).
- تفسير البغوي (معالم التنزيل).
- تفسير ابن كثير.

لكن يُنبَّه على أن الثعلبي قد ساق أسانيده مجملة في مقدمة تفسيره، واكتفى بذلك غالبًا، وتبعه على هذا النهج البغوي، وهو منهج يقلل الاستفادة من تلك الأسانيد، وقد ذكر ابن تيمية أن الثعلبي حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، وتبعه على ذلك تلميذه الواحدي، خصوصًا في تفسيره (الوسيط)، أما البغوي الذي اختصر تفسيره من الثعلبي، فقد صانه عن الأحاديث الموضوعة(٣).

وأشار ابن تيمية أيضًا إلى بعض المفسرين الذين لا يتحرَّون الصحة فيما ينقلون من الأقوال، بل إن كثيرًا مما فيها مما يقطع بكذبه؛ كتفسير أبي القاسم القشيري، وأبي الليث السمرقندي، وحقائق التفسير لأبي عبدالرحمن السلمي، وخصوصًا ما ينقله عن جعفر الصادق(٤)، وأشار الذهبي أيضًا إلى أن تفسير النقاش المسمَّى (شفاء الصدور) حاله قريب من ذلك(٥).

كما يحسن التنبيه على أن ابن كثير في تفسيره قد ساق أسانيد أصحاب الكتب المسندة في مرويات التفسير المرفوعة إلى النبي ﷺ فقط، دون مرويات الصحابة والتابعين، لكن اهتمامه بجانب الصنعة الحديثية في تفسيره ظاهر جدًا بل ربما يمكن اعتباره أميز تفسير في هذا الجانب على الإطلاق، قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمة مختصره له:

---

(١) صدرت ط١ من الموسوعة عام (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م)، في (٢٤) جزءًا.

(٢) انظر: موسوعة التفسير المأثور، لمعهد الشاطبي: ١/٥٢.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: ص٧٦، وانظر: شرحها، للطيار: ص١٧٨.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ١١/٤٣، شرح مقدمة في أصول التفسير للطيار: ص١٨٠.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء: ١٥/٥٧٥.

"فكتابه – بجانب أنه تفسير للقرآن – معلِّم ومرشد لطالب الحديث؛ يعرف به كيف ينقد الأسانيد والمتون، وكيف يميز الصحيح من غيره، فهو كتاب في هذا المعنى تعليمي عظيم، ونفعه جليل كثير"(١).

ومن الجهود المشكورة في هذا الباب ما قام به الدكتور حكمت بن بشير بن ياسين، في كتابه (التفسير الصحيح: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)؛ وهي وإن كان اسمها (موسوعة) لكنها خاصة بالمرويات الصحيحة (أي المقبولة)، مع قيود أخرى ذكرها المؤلف في المقدمة(٢)، ومن ميزات الكتاب دراسة الأسانيد المذكورة فيه مع الحكم عليها(٣).

وفي ختام هذا المبحث تجدر الإشارة إلى كتابين، هما:

١- (تفسير ابن وهب: الواضح في تفسير القرآن الكريم) لعبدالله بن وهب الدينوري (ت: ٣٠٨هـ).

٢- (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) لمجد الدين الفيروزآبادي، صاحب القاموس المحيط.

وهذان الكتابان كالمتطابقين، أو هما كتاب واحد باسمين مختلفين، ولا يصحُّ نسبة ما فيهما أو ما فيه إلى ابن عباس، لكونه من رواية مروان بن محمد السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، وهو الإسناد المسمى بسلسلة الكذب(٤).

المبحث الثاني: الاتجاه العقدي

يحسن تصدير هذا المبحث بكلام ابن تيمية الذي سبق نقل بعضه في صدر المبحث السابق، وهو قوله: "وأما النوع الثاني من سببي الاختلاف، وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين، حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان – فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفًا لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين..."(٥)، وقد سبق نقل بقيته التي تضمنت تعداده لخمسة عشر تفسيرًا من هذا النوع الذي ذكره، ويدلُّ كلام ابن تيمية هذا على سلامة التفاسير المذكورة من البدع الاعتقادية، التي كثرت في تفاسير مَن جاء بعد الصحابة والتابعين(٦).

ثم مثَّل ابن تيمية بعد كلامه السابق ببعض تفاسير أهل البدع، وفصَّل القول في تفاسير المعتزلة خصوصًا، وسمَّى خمسة من تفاسيرهم، ثم ذكر اثنين من تفاسير متأخري الشيعة الذين تأثروا بهم، فقال: "فالذين أخطؤوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع... وهذا كالمعتزلة مثلًا فإنهم من أعظم الناس كلامًا وجدالًا، وقد صنَّفوا تفاسير على أصول مذهبهم؛ مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان الأصم... ومثل كتاب أبي علي الجبائي، والتفسير الكبير للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، والجامع لعلم القرآن لعلي بن عيسى الرماني، والكشاف لأبي القاسم

(١) عمدة التفسير، لأحمد شاكر: ٩/١.

(٢) انظر: التفسير الصحيح، لحكمت بشير: ٦٣/١، وانظر تعريفًا بالكتاب في: التفاسير المختصرة، للبركة: ص٦٢٥.

(٣) للتوسع في ذكر التفاسير المسندة غير ما سبق، انظر: التفسير النبوي، للباتلي: ٩٢/١، تفسير السلف، للواصل: ص٣١١.

(٤) انظر: التفاسير المختصرة، للبركة: ص٦٤٧.

(٥) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: ص٧٩.

(٦) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، لآل الشيخ: ص١٠٧.

الزمخشري... وقد وافقهم على ذلك متأخروا الشيعة، كالمفيد، وأبي جعفر الطوسي، وأمثالهم، ولأبي جعفر هذا تفسير على هذه الطريقة لكن يضم إلى ذلك قول الإمامية الاثني عشرية"(١).

والمطبوع المتداول من هذه التفاسير السبعة التي سمَّاها ابن تيمية تفسيران اثنان:

١- الكشاف للزمخشري المعتزلي.

٢- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي الشيعي الاثني عشري.

أما بقية كتب المعتزلة المذكورة فهي في حكم المفقود، لكن يوجد نقول عنها في بعض كتب التفسير الأخرى، التي تعتني بنقل كلام المعتزلة كتفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، وتفسير الماوردي (النكت والعيون)، والطوسي الرافضي(٢).

وقد تأثر بالمعتزلة أيضًا لكنهم أقرب منهم إلى أهل السنة، كل من: الماتريدية، والأشاعرة(٣)، مع قيام مفسِّريهم بالرد على المعتزلة، بل اشتهروا بذلك، كما أشار إليه ابن تيمية(٤).

ومن أشهر جهودهم في ذلك: ردودهم على اعتزاليات الزمخشري، مما يختلف الأشاعرة مع المعتزلة فيه من مسائل الاعتقاد(٥)، وهو من أعظم مقاصد أصحاب الحواشي على الكشاف: كالطيبي في (فتوح الغيب)، وابن المنيِّر الإسكندري في (الانتصاف)، أو اختصاره وتجريده مما فيه من الاعتزال، كما صنع البيضاوي في (أنوار التنزيل)(٦)، وكذلك أصحاب الحواشي على البيضاوي، كحاشية (عناية القاضي) للشهاب الخفاجي، وحاشية محيي الدين شيخ زاده، وغيرها(٧).

وممن ردَّ عليه من الأشاعرة: كثير من المفسرين الذين تأثروا بالكشاف، واستفادوا من طريقته اللغوية والبلاغية، كفخر الدين الرازي، وأبي حيان الأندلسي، وغيرهما(٨).

لكن لابد من الوقوف هنا مع تفسير الفخر الرازي تحديدًا، المسمى بالتفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب)؛ فإنه يُعَدُّ أوسع التفاسير على الإطلاق في إيراد المباحث العقدية، التي يسمَّونها الكلامية، كما قال الزركشي عند تعداده لبعض المفسرين الذين غلبت علومهم على تفاسيرهم -كما سبق نقل كلامه في التمهيد- قال: "... والإمام فخر الدين علمُ الكلام، وما في معناه من العلوم العقلية"(٩)، وقريب منه قول السيوطي في سياق مشابه لسياق كلام الزركشي السابق: "وصاحب العلوم العقلية - خصوصًا الإمام فخر الدين - قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء، والفلاسفة، وشبهها"(١٠).

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: ٨٢-٨٤.

(٢) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير للطيار: ص٢٠٦، وانظر: الإجماع في التفسير، للخضيري: ص١٢٩.

(٣) وعقائد الماتريدية والأشاعرة بينهما توافق كبير، انظر: تحريف معاني الألفاظ القرآنية، لعميرة الرشيدي: ٣٠٣.

(٤) انظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: ٨٥.

(٥) انظر: مسامرة الكشاف، للعسكر: ص١٨٣.

(٦) انظر: المصدر السابق: ص١٥٥.

(٧) انظر: القاضي البيضاوي، للدكتور محمد الزحيلي: ص١٣٩.

(٨) انظر: مسامرة الكشاف، للعسكر: ص٦٤.

(٩) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١/١٠٥-١٠٦.

(١٠) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ٦/٢٣٤٤، وانظر: مباحث في أصول التفسير ومناهجه، للرومي: ص١٥٥.

والفخر الرازي مع كونه إمام المتأخرين من الأشاعرة(١)، وسار على تقرير مذهبهم في تفسيره(٢)، فقد أكثر من إيراد كلام المعتزلة، والفلاسفة، بنيَّة الردِّ عليهم فيما يخالفهم فيه، إلا أن ردوده تلك وصفت بالضعيفة، والمختصرة، والمتأخرة(٣).

ومن أصحاب المذاهب العقدية الذين ألفوا في التفسير: أبو منصور الماتريدي مؤسس المذهب المنسوب إليه؛ حيث ألَّف تفسيرًا سمَّاه (تأويلات أهل السنة) أو (تأويلات القرآن)؛ لتقرير مذهبه الكلامي، والردِّ على المعتزلة فيما يخالفهم فيه(٤).

وقد ذكر ابن تيمية عددًا من كتب التفسير التي نقل أصحابها آراء أهل البدع وكلامهم، إما عن قصد أو عن غير قصد؛ كالثعلبي، وتلميذه الواحدي، وابن عطية الذي يترك النقل عن تفسير الطبري عند آيات الاعتقاد، لينقل كلام علماء الأشاعرة ويسمِّيهم المحققين، ويترك كلام السلف في ذلك(٥).

وأشار ابن تيمية أيضًا إلى تفسير أبي عبد الرحمن السلمي الصوفي، المسمَّى (حقائق التفسير)، وأشار إلى أنه يحوي معانٍ باطلة، كما يحوي معانٍ صحيحة في نفسها لكن الاستدلال عليها بالآيات غير صحيح(٦)، وقد قال الواحدي عن هذا التفسير: "إن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر"(٧).

كما أشار ابن تيمية أيضًا إلى تفسيرين من تفاسير متأخري الشيعة، هما: المفيد، وأبو جعفر الطوسي، والثاني هو الذي له تفسير معروف متداول(٨)، واسمه (التبيان في تفسير القرآن)، وتفاسير الشيعة الاثني عشرية (الرافضة) كثيرة، ومنها قديمة ومعاصرة، وبعض الباحثين يجعلها قسمين: غلاة، ومعتدلين(٩)، ومن أشهرها غير كتاب الطوسي السابق: تفسير (مجمع البيان) للطبرسي، وهذان الاثنان من تفاسيرهم المعتدلة، ومنها أيضًا (الميزان في تفسير القرآن) للطباطبائي، وهو من أهم تفاسيرهم المعاصرة(١٠).

---

(١) انظر: التفسير ورجاله، لابن عاشور: ص٧٨.

(٢) لابد من التنبيه هنا على اختلاف معتقد الأشاعرة المتأخرين هذا، الذي سار عليه الفخر الرازي، عن معتقد المتقدمين والمتوسِّطين من الأشاعرة، فهو أشد بعدًا منها عن مذهب أهل السنة، وأكثر قربًا إلى المعتزلة والفلاسفة، انظر: الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، للسهلي: ص٤٣.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون، للذهبي: ١/٢٩٤، بحثًا بعنوان (شبهات حول تفسير الرازي: عرض ومناقشة)، للدكتور عيادة الكبيسي، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية بالإمارات، العدد(١٦).

(٤) انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للطيار: ص٤٧١، تحريف معاني الألفاظ القرآنية، للرشيدي: ٣٠١.

(٥) انظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: ص٧٦، ٩٠، وانظر: شرحها، للطيار: ص١٧٨، ٢٣٠.

(٦) انظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: ص٩٢.

(٧) نقل هذه الكلمة، وكلامًا آخر في هذا التفسير، وما فيه من تفسير باطني قرمطي: د. عدنان زرزور في تعليقه على كلام ابن تيمية عن تفسير السلمي في الأعلى.

(٨) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، للطيار: ص٢٠٦.

(٩) انظر: الشيعة الاثنا عشرية، للعسال: ص٨٢٥.

(١٠) انظر: الاتجاهات المنحرفة في التفسير، للشدي: ص٣٦.

و(تفسير الجلالين) من التفاسير التي اعتنى العلماء والباحثون المعاصرون ببيان ما وقع فيه مؤلفاه من مخالفات عقدية، كتعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ومحمد جميل زينو، ومحمد الخميِّس، وغيرها[١].

ولهم جهود مباركة في التعليق على المخالفات العقدية في عدد من كتب التفسير الأخرى، كتعليقات الشيخ عبدالرحمن البراك على تفسير (التسهيل) لابن جزي الكلبي[٢]، والشيخ عبدالعزيز الراجحي على (أنوار التنزيل) للبيضاوي[٣]، والدكتور محمد الخميِّس على تفسير (فتح القدير) للشوكاني[٤]، والشيخ صالح الفوزان على (صفوة التفاسير) للصابوني[٥].

ومن أشهر الجهود العلمية في هذا الباب: ما قام به الباحث محمد بن عبد الرحمن المغراوي، في كتابه (المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات)، لكنه كما هو ظاهر من عنوانه مقتصر على باب الصفات ولم يشمل بقية أبواب الاعتقاد، وقد جعل التفاسير التي درسها في خمسة أقسام:

١- التفاسير السلفية، وهي: تفسير ابن جرير الطبري، وأبي المظفر السمعاني، والبغوي، وابن كثير، وصديق حسن خان، وجمال الدين القاسمي، ومحمد رشيد رضا، وعبدالرحمن السعدي، ومحمد الأمين الشنقيطي.

٢- تفاسير الخوارج، وذكر تحتها أربعة: تفسير الهواري، وإطفيّش، والكندي، والخليلي

٣- تفاسير المعتزلة: ولم يذكر منها سوى كشاف الزمخشري.

٤- تفاسير الشيعة، وذكر منها اثنين: تفسير الطبرسي، وتفسير شُبَّر.

٥- تفاسير الأشاعرة وغيرهم، وهو أوسع الأقسام، وأكثرها في عدد التفاسير، حيث ذكر منها (٣٩) تفسيرًا، وقد شمل هذا القسم غالب التفاسير المشهورة المتداولة، حتى بعض التفاسير المعاصرة[٦].

ويُنبَّه هنا على أن التفاسير الأشعرية ليست على درجة واحدة في قربها من منهج أهل السنة أو بعدها عنه، فلا تكفي النسبة العامة إلى المذهب في مثل هذا، بل لابد من الدراسة التفصيلية لآراء المفسر العقدية في تفسيره، وكونه معتنيًا بالحديث والأثر أم لا، وملاحظة الطور الذي ينتمي إليه من أطوار المذهب الأشعري[٧].

ويُنبَّه أيضًا إلى أن ما ذكره المغراوي من التفاسير السلفية، فيه نظر من وجهين:

---

(١) انظر طرفًا منها في: التفاسير المختصرة، للبركة: ص٨٠٣.

(٢) صدرت مستقلة باسم (التعليقات على المسائل العقدية في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل)، كما صدرت في حواشي تفسير التسهيل لابن جزي، التي بتحقيق: د. علي الصالحي.

(٣) اسمه (التعليق على المخالفات العقدية في تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل).

(٤) اسمه (عذب الغدير في بيان التأويلات في كتاب فتح القدير)، وهو كتيب صغير.

(٥) اسمه (تعقيبات وملاحظات على صفوة التفاسير).

(٦) يقع في أربعة أجزاء، وأصله رسالة علمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة، لكن المؤلف زاد عليه عند طباعته، وأطال في الجزء النظري حتى شمل الجزء الأول كاملًا.

(٧) انظر: الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، للسهلي: ص٥٢.

أولًا: أنه ذكر اثنين هي ليست على منهج السلف عند التحقيق، وإن كان مؤلفاهما قد مالا إلى عقيدة السلف في أواخر حياتهما، وهما: صديق حسن خان، ومحمد رشيد رضا، وقد أشار المغراوي نفسه إلى ذلك عند ترجمته لهذين المفسرين، في بداية دراسته لتفسيريهما[(١)].

ثانيًا: فاته ذكر عدد من التفاسير السلفية الأخرى، إما لتأخر طباعتها، أو أنها ليست على شرطه، أو لغير ذلك، فمن المتقدمين مثلًا: تفسير يحيى بن سلام، وعبدالرزاق، وابن أبي حاتم، وابن أبي زمنين، والكَرَجي القصَّاب، ومجاميع تفسير ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، ومن المعاصرين كثير بحمد الله، وخصوصًا التفاسير الصادرة عن علماء هذه البلاد المباركة وهيئاتها العلمية: كتفسير السعدي – وقد ذكره، وتفسير (توفيق الرحمن في دروس من القرآن) للشيخ فيصل آل مبارك، وتفسير الشيخ ابن عثيمين[(٢)]، ومثل (التفسير الميسر) الصادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، و(المختصر في التفسير) الصادر عن مركز تفسير.

ومن أبرز إسهامات المعاصرين في هذا الباب: الكتابات عن (الاتجاهات المنحرفة في التفسير) إما مفردًا أو مضمَّنًا، وشاملًا أو خاصًا باتجاه واحد، أو مفسِّر واحد، وهي لا تزال قليلة، والمطبوع منها أقل.

ومن أوائل المفردة الشاملة: كتاب (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها) للدكتور محمد حسين الذهبي صاحب كتاب (التفسير والمفسرون)، وذكر فيه سبعة اتجاهات إجمالًا[(٣)]، ثم جاء بعده كتاب (الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث) للدكتور عادل الشدي، وجعله في بابين: الأول: في أربعة اتجاهات قديمة في أصولها، لكن لها امتدادات معاصرة، وهي: الاتجاه الرافضي، والصوفي، والعقلي (المتأثر بالمعتزلة)، والخوارج، أما الباب الثاني: فدرس فيه بعض مؤلفات أصحاب الاتجاه الحداثي في التفسير[(٤)].

ومن الدراسات الخاصة باتجاه واحد: كتاب (الشيعة الاثنا عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم) للدكتور محمد العسال، وكتاب (التفسير الإشاري: ماهيته وضوابطه) للدكتور مشعان العيساوي، وذكر فيه أن الصوفية هم أكثر مَن استعمل هذا المنهج في التفسير، والنوع المذموم منه في الغالب[(٥)]، وذكر من تلك التفاسير: (حقائق التفسير) للسلمي، وقد سبق ذكره، و(لطائف الإشارات) للقشيري، و(غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للنيسابوري، و(روح البيان) لإسماعيل حقي، و(البحر المديد) لابن عجيبة، و(روح المعاني) للآلوسي.

ومنها دراسات خاصة بكتاب معين من أصحاب الاتجاهات المنحرفة، مثل كتاب (المسائل الاعتزالية في كتاب الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنيّر) للدكتور صالح الغامدي.

---

(١) انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات: ٢/٦٢٥، ٦٦٣.

(٢) يعتبر تفسيره من أوسع التفاسير التي عنيت بتقرير عقيدة السلف، والرد على مخالفيهم، انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، للبريدي: ص٧٧٩.

(٣) انظر: محتويات الكتاب: ص١١١.

(٤) انظر: فهرس الكتاب: ص٣٥٥.

(٥) انظر: التفسير الإشاري، للعيساوي: ص٢١٩.

وهاهنا تنبيه على ما صنعه الدكتور محمد حسين الذهبي، في كتابه المشهور (التفسير والمفسرون) من وضعه لتفسير (فتح القدير) للشوكاني مثالًا لتفاسير الزيدية، وهذا صنيع غريب؛ لأن (فتح القدير) ليس فيه أي مسحة من الزيدية، لا من قريب ولا من بعيد، والظاهر أن الذهبي قد جعله كذلك؛ اعتمادًا على أن مؤلفه الشوكاني قد نشأ على هذا المذهب وتفقَّه عليه، وإلا فإن الذهبي نفسه قد أقرَّ بأن هذا التفسير لا يمثِّل تفاسير الزيدية تمثيلًا وافيًا شافيًا(١).

ويحسن في ختم هذا المبحث تلخيص أهم التنبيهات التي أشار إليها الدكتور مساعد الطيار في هذا الباب، على النحو التالي(٢):

١- عدم الاقتصار على باب الصفات عند ذكر المخالفات العقدية في كتب التفسير.

٢- أن تلك الفرق المنحرفة قد زاد انحرافها مع الزمن، فالمتأخرون منهم أشد انحرافًا من المتقدمين في الغالب(٣).

٣- أن انتساب أحد المفسرين لفرقة ما، لا يلزم منه قوله بجميع عقائدها.

٤- أن من يريد القراءة في أحد تفاسير تلك الفرق، عليه معرفة عقائدها وعقائد أهل السنة أيضًا، ليمكنه التمييز بينها بشكل صحيح.

المبحث الثالث: الاتجاه الفقهي

سار المؤلفون في مناهج المفسرين واتجاهات التفسير عند ذكرهم للاتجاه الفقهي في التفسير، على ذكر تفاسير آيات الأحكام، التي غلب عليها اسم (أحكام القرآن)(٤)، وهذا النوع داخل تحت التفاسير الخاصة، وهي غير مقصودة في هذا البحث -كما سبق في المقدمة، ولذلك فلن أذكر عنها شيئًا في هذا المبحث.

وإنما المراد هنا الإشارة إلى عِدَّة أمور، على النحو التالي:

الأول: التفاسير العامة، التي ظهر فيها العناية بالجانب الفقهي ظهورًا بينًا، ومما يمكن التمثيل به من هذا النوع، تفسيران اثنان:

١- (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، ولظهور هذا الجانب فيه، فقد عدَّه المؤلفون في مناهج المفسرين مع تفاسير آيات الأحكام، المسمَّاة بكتب (أحكام القرآن)، مع اختلافه عنها بكونه لم يقتصر مثلها على آيات الأحكام فقط، وإنما كان تفسيره شاملًا لجميع آيات القرآن، ومباحثه(٥).

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، للذهبي: ٢٨٤-٢٨٥، ٢٩٩.

(٢) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير للطيار: ص٢٤٨-٢٤٩.

(٣) كما عند الأشاعرة مثلًا، فهم ثلاثة أطوار: متقدموهم: كأبي الحسن الأشعري، والباقلاني، ومتوسطوهم: كالجويني، والقشيري، ومتأخروهم: كالغزالي، والفخر الرازي، فالأولون (أشعرية كلاَّبية) وهم الأقرب إلى أهل السنة، والمتوسطون (أشعرية معتزلة) وهم أبعد من الأولين، والمتأخرون (أشعرية متفلسفة) وهم أشد الأشعرية انحرافًا وبعدًا، حتى ربما فاقوا المعتزلة في الانحراف، انظر: الأطوار العقدية في المذهب الأشعري، للسهلي.

(٤) انظر مثلًا: مباحث في أصول التفسير ومناهجه، للرومي: ص٩٤، مناهج المفسرين، للحميضي: ص١١٥.

(٥) انظر: المصدرين السابقين.

٢- (أضواء البيان) للشنقيطي، وقد ذكر مؤلفه في مقدمته أن من أهم ما قصده بتأليفه لكتابه أمران، الثاني منهما: بيان الأحكام الفقهية، وأقوال العلماء فيها وأدلتها والترجيح بينها، دون تعصب لمذهب معين[١].

وهذان التفسيران يصنَّفان ضمن تفاسير المالكية - وهم أكثر المذاهب الفقهية تأليفًا في تفاسير آيات الأحكام[٢] - لكنهما غير متعصبين له، بل عندهما عناية به لكونه مذهبهما الذي نشأ عليه.

الثاني: أن أصحاب مناهج المفسرين الذين يذكرون كتب أحكام القرآن، يصنِّفونها بحسب مذاهبها الفقهية، لكنهم إذا وصلوا إلى المذهب الحنبلي، يقولون إنه لا يوجد فيه كتابًا مفردًا في تفسير آيات الأحكام، سوى تفسير واحد مفقود[٣]، فيذكر بعضهم تفسير (زاد المسير) لابن الجوزي، مثالًا لتفاسير الحنابلة، مع أنه لم يكن خاصًا بتفسير آيات الأحكام، ولم تكن له عناية ظاهرة بها كما عند القرطبي[٤].

وقد عقد ابن بدران في كتابه (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل) فصلًا[٥]: ذكر فيه ما وصل إليه خبره من كتب التفسير للحنابلة، فسمَّى منها سبعة، أربعة منها اكتفى بذكر خبره فقط، فالظاهر أنها في حكم المفقود، والثلاثة الباقية هي: (زاد المسير) لابن الجوزي - وسبق ذكره، وتفسير العليمي[٦]، و(رموز الكنوز) للرسعني، ووصفه بأنه: "أجلُّ هذه التفاسير كلها، وأنفعها"[٧]، ثم ذكر أنه يشتغل على تفسير سمَّاه (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في تفسير كلام العزيز الجبار)، وسأل الله أن يوفِّقه لإتمامه[٨].

الثالث: وهو أمر يحسن به تكميل هذا المبحث، بمحاولة ذكر تصنيف لبعض التفاسير المشهورة، بحسب مذاهبها الفقهية، مستفيدًا ذلك من برنامج (الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم)[٩]؛ حيث وُضع فيه تصنيفٌ للتفاسير التي احتواها البرنامج (وهي مائة تفسير)، باعتبارات متعددة، منها تصنيفها بحسب مذاهبها الفقهية، ويمكن التمثيل على ذلك - بحسب ما ذكر في البرنامج - فيما يلي:

---

(١) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي: ١/٥-٦.

(٢) انظر: تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، للعبيد: ٢/٧٢٧.

(٣) انظر: وهو تفسير آيات الأحكام، للقاضي أبي يعلى، انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: مناهج المفسرين، للحميضي: ص١١٩.

(٥) انظر: المدخل، لابن بدران: ص٤٧٦.

(٦) وقد وصفه ابن بدران بقوله: إنه رآه في مجلد، وأنه تفسير متوسط، يذكر القراءات، وأقوال الأئمة الأربعة في المسائل الفرعية، وفيه فوائد لطيفة، انظر: المصدر السابق، وقد طبع في دار النوادر السورية، في سبعة أجزاء، وكتب محققه دراسة تعريفية جيدة بالمؤلف والكتاب، بين يدي الجزء الأول منه: ١/١٠-٦٨.

(٧) المصدر السابق: ص٤٧٧، وقد طبع في مكتبة الأسدي بمكة، في تسعة أجزاء، بتحقيق: د. عبد الملك بن دهيش.

(٨) طبع الموجود منه في جزء واحد، ويشمل تفسير الفاتحة والبقرة إلى الآية (١٨٩) منها، وصدر عن المكتب الإسلامي في سوريا، وحققه صاحبه: زهير الشاويش.

(٩) صدر عن مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، مدينة فاس، بالمغرب، وهو منشور في موقع خاص به، على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت).

١- المذهب الحنفي: (تأويلات أهل السنة) للماتريدي، و(بحر العلوم) للسمرقندي، و(الكشاف) للزمخشري، و(مدارك التنزيل) للنسفي، و(إرشاد العقل السليم) لأبي السعود العمادي، و(التفسير المظهري) لثناء الله الهندي، و(تاج التفاسير) للميرغني.

٢- المذهب المالكي: تفسير ابن أبي زمنين، و(الهداية إلى بلوغ النهاية) لمكي بن أبي طالب، و(المحرر الوجيز) لابن عطية، وتفسير القرطبي - سبق ذكره، و(التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جزي الكلبي، وتفسير ابن عرفة، و(الجواهر الحسان) للثعالبي، و(البحر المديد) لابن عجيبة، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور، و(التيسير في أحاديث التفسير) للمكي الناصري.

٣- المذهب الشافعي: (النكت والعيون) للماوردي، وتفاسير الواحدي، وتفسير أبي المظفر السمعاني، و(معالم التنزيل) للبغوي، و(مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، و(أنوار التنزيل) للبيضاوي، و(لباب التأويل) للخازن، و(البحر المحيط) لأبي حيان، وتفسير ابن كثير، و(نظم الدرر) للبقاعي، و(السراج المنير) للشربيني، و(روح المعاني) للآلوسي.

٤- المذهب الحنبلي: (زاد المسير) لابن الجوزي، ومجموع تفسير ابن القيم، و(اللباب) لابن عادل، وتفسير ابن عثيمين.

ويمكن أن يستدرك عليهم من تفاسير الحنابلة - غير ما سبق ذكره عن ابن بدران: مجموع تفسير ابن تيمية، ومجموع تفسير ابن رجب الحنبلي، وتفسير (توفيق الرحمن في دروس من القرآن) للشيخ فيصل آل مبارك، وتفسير الشيخ السعدي، وتفسير الشيخ ابن عثيمين.

ويحسن التنبيه أخيرًا على أن هناك نوعان من التفاسير لا تدخل تحت التصنيف المذهبي الفقهي السابق، وهما:

١- التفاسير المسندة المحضة وما في حكمها، كتفسير عبدالرزاق، وابن أبي حاتم، والدر المنثور: لأنها خاصة بنقل كلام الصحابة والتابعين صرفًا، وكلام أولئك سابق على نشأة المذاهب الفقهية المعروفة.

٢- كثير من التفاسير المعاصرة: لأن التزام المذاهب الفقهية المعروفة قد تركه كثير من المعاصرين، تغليبًا للجانب البحثي الذي يعتمد على ذكر الأقوال وأدلتها، وترجيح ما يتبيّن بعد البحث، دون التزام بمذهب معين(١).

المبحث الرابع: الاتجاه اللغوي والنحوي

المراد بالاتجاه اللغوي: هو الذي يعتني بمعاني ودلالات ألفاظ القرآن وتراكيبه، بحسب ما ورد في لغة العرب(٢)، أما الاتجاه النحوي: فهو إعراب ألفاظ القرآن وجمله، بحسب تقريرات علماء النحو ومصطلحاتهم وقواعدهم ومذاهبهم في ذلك(٣).

ولن أذكر في هذا المبحث الكتب الخاصة بأحد النوعين، مثل: كتب غريب القرآن، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، لأن هذا خارج حدود البحث - على ما سبق تقريره في المقدمة، وقد جمعت بين النوعين؛ لكون التفاسير التي اعتنت بهما واحدة في الغالب.

---

(١) انظر: تفاسير آيات الأحكام، للعبيد: ٧٢٧-٧٢٨، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، للرومي: ٤١٨/٢.

(٢) انظر: التفسير اللغوي، للطيار: ص٣٨-٣٩.

(٣) انظر: علم إعراب القرآن، للعيساوي: ص٢٦.

وقد كانت مشاركة اللغويين المتقدمين في هذا الباب، تحت العناوين السابقة (غريب القرآن، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن)[1]، أما كتب التفسير التي اعتنت بالتفسير اللغوي والنحوي، فمن أوائلها تفسير الطبري (جامع البيان)، الذي أخذ التفسير اللغوي فيه مساحة واسعة، مع كونه لم يورد من علم اللغة والنحو إلا ما له أثر في بيان المعنى القرآني[2].

ومن التفاسير التي غلب عليها العناية باللغة والنحو بعد الطبري: (التفسير البسيط) لأبي الحسن الواحدي، وقد جعل كلٌّ من الزركشي والسيوطي هذا التفسير مثالًا للتفاسير التي غلب عليها علم الغريب والنحو –كما سبق نقل كلامهما في التمهيد، وهو في جمعه لكلام أهل اللغة والنحو الذين قبله في التفسير، يشبه الطبري في جمعه لكلام السلف الذين قبله في التفسير، من بعض الوجوه[3].

ثم جاء تفسيران متعاصران مشهوران، اشتركا في العناية باللغة والنحو، هما (الكشاف) للزمخشري، و(المحرر الوجيز) لابن عطية[4]، وإن كانت الصبغة اللغوية بتفسير الزمخشري أظهر[5]، مع زيادته على ابن عطية أيضًا العناية بالبلاغة القرآنية –كما سيأتي.

أما أبرز المفسرين على الإطلاق في هذا الاتجاه بلا مدافع، فهو أبو حيان الأندلسي، في تفسيره الكبير (البحر المحيط)، ومختصره (النهر الماد)، وقد جعله السيوطي ممثلًا لهذا الاتجاه، مع الواحدي – وقد سبق نقل كلامه في التمهيد.

ومن البحوث الحافلة في هذا الموضوع: كتاب (النحو وكتب التفسير) للدكتور إبراهيم رفيدة، وقد اجتهد في وضع تقسيم للمفسرين المعتنين بالنحو في ست مراحل، وجعل لكل مرحلة كتبًا تمثلها[6].

ويمكن تلخيص تلك المراحل الست التي ذكرها، من خلال ذكر أبرز كتب التفسير التي تمثلها، فيما يلي:

الأولى: كتب معاني القرآن.

الثانية: تفسير الطبري، والمهدوي في (التحصيل)، والواحدي، والزمخشري.

الثالثة: ابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي.

الرابعة: أبو حيان الأندلسي، وتلاميذه.

الخامسة: تفسير الجلالين، وحاشية الجمل عليه (الفتوحات الإلهية)، والثعالبي، والشربيني، وأبي السعود العمادي، والشهاب الخفاجي.

السادسة: الشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والمراغي.

---

(١) انظر: التفسير اللغوي، للطيار: ص١٢٣، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، للطيار: ص٧٦.

(٢) انظر: التفسير اللغوي، للطيار: ص١٨٨، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، للطيار: ص٤٩.

(٣) انظر في بيان منهجه ومصادره في ذلك: المقدمة الدراسية بين يدي تحقيق كتاب (التفسير البسيط) للواحدي، لمجموعة من الباحثين، الذي أصدرته جامعة الإمام: ١/٣١٠، ٣١٥.

(٤) انظر: التفسير ورجاله، للفاضل ابن عاشور: ص٦٨.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ١/١٦.

(٦) انظر: النحو وكتب التفسير، لرفيدة: ١/٥٦٣-٥٦٩.

وقد ذكر الدكتور العيساوي[1] تفسيرين اثنين يمثلان هذا المنهج لم يذكرهما رفيدة، وهما: (اللباب) لابن عادل، و(حدائق الروح والريحان) للهرري، وهو معاصر.

ومن المعاصرين الذين كانت لهم عناية ظاهرة بالتفسير اللغوي: الشيخ الشعراوي في تفسيره، مع تميزه بتقريب ذلك وتسهيله لعموم الناس[2].

المبحث الخامس: الاتجاه البلاغي

لا شك أن رائد البلاغة القرآنية من المفسرين وكبيرهم في ذلك: جار الله الزمخشري المعتزلي في تفسيره (الكشاف)[3]، قال الزركشي في صدر النوع الخاص ببلاغة القرآن في كتابه (البرهان): "وأملأ الناس بهذا صاحب الكشاف"[4]، وجعله ممثلًا لأصحاب الاتجاه (البياني) من المفسرين -كما سبق في التمهيد.

ولابن خلدون في (مقدمته الشهيرة) عند كلامه عن كتب التفسير، إشارة وإشادة بمكانة الزمخشري في هذا الباب، وعلوِّ كعبه فيه؛ مع تنبيهه على ما فيه من اعتزال ظاهر، ثم ذكره حاشية الطيبي عليه، وثنائه عليها ثناء عاطرًا، وسأنقل كلامه في هذا بطوله؛ لأهميته، ولشهرته بين الباحثين.

قال ابن خلدون: "والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان، من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة، في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب... ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير: كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد؛ فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في أي القرآن من طرق البلاغة، فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفًا مع ذلك على المذاهب السُّنِّية، محسنًا للحجاج عنها، فلا جرم إنه مأمون من غوائله، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان، ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطِّيبي من أهل توريز من عراق العجم، شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها، ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة؛ فأحسن في ذلك ما شاء، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]"[5].

وقال الفاضل ابن عاشور في كتاب (التفسير ورجاله) عن الزمخشري: "فأصبح عتابه عمدة الناس على اختلافهم: بين مشايع له ومخالف، وعلى وفرة مخالفيه وانقطاع مشايعيه، يرجعون إليه على أنه نسيج وحده في طريقته البلاغية الإعجازية، وفي غوصه على دقائق المعاني، وحسن إبرازها على طريقة علمية سائغة؛ بتحليل التركيب وإبراز خصائصه واعتباراته"[6].

---

(١) انظر: علم إعراب القرآن، للعيساوي: ص١٨٤.

(٢) انظر: الشيخ محمد متولي الشعراوي ومنهجه في التفسير، للقميحي: ص٦٤.

(٣) انظر: مسامرة الكشاف، للعسكر: ص٣١، ٣٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ١/٤٢١.

(٥) مقدمة ابن خلدون: ٣/١٠٣١-١٠٣٣.

(٦) التفسير ورجاله: ص٦٦.

وقد كثرت الحواشي على الكشاف، واعتنت في أغلبها بشرح كلام الزمخشري في البلاغة القرآنية، مع الردود عليه في عقيدته الاعتزالية ومن أجلِّ تلك الحواشي وأكبرها وأغزرها فائدة: حاشية الطيبي، الموسومة بـ (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)[١]، وهي التي ذكرها ابن خلدون في آخر كلامه السابق.

والحاشية الأخرى المشهورة على الكشاف: حاشية (الانتصاف) لابن المنيِّر الإسكندري، وإن كان الغالب عليها تعقب اعتزاليات الزمخشري، إلا أنها حوت تعليقات كثيرة في البلاغة القرآنية.

والتفاسير التي أخذت عن الزمخشري ما فيه من البلاغة القرآنية – مع مناقشة ما فيه من اعتزاليات، أو تجنبها – تفاسير كثيرة، من أبرزها[٢]: (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، و(غرائب القرآن) للقمي النيسابوري، و(البحر المحيط) لأبي حيان، و(أنوار التنزيل) للبيضاوي، و(مدارك التنزيل) للنسفي، و(إرشاد العقل السليم) لأبي السعود العمادي، و(روح المعاني) للألوسي، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور.

وحيث إن تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) مختصر من (الكشاف)؛ فإن حواشيه سارت على دربه ودرب أصله في العناية بالبلاغة القرآنية، ومن أهم حواشي البيضاوي: حاشية محيي الدين شيخ زاده، وحاشية (عناية القاضي) للشهاب الخفاجي.

وممن استفاد من هذه الحواشي وغيرها، وخصوصًا ما يتعلق منها بالبلاغة القرآنية: سليمان الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين، المسماة (الفتوحات الإلهية).

أما خاتمة المفسرين البلاغيين، وصاحب أكبر تفسير بلاغي للقرآن على الإطلاق، فهو الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، في تفسيره الحافل (التحرير والتنوير)[٣]، وقد أشار هو نفسه إلى عنايته واهتمامه في تفسيره بهذا الباب، في خطبة الكتاب[٤].

ومما يتصل بعلم البلاغة القرآنية بسبب قريب: علم (المناسبات) وخصوصًا بين الآيات، وقد صرَّح الطاهر ابن عاشور بعنايته به أيضًا في تفسيره، وذكر اثنين ممن اعتنى به من المفسرين قبله، وذلك في قوله: "واهتممت أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل، قد عُني به فخر الدين الرازي، وألَّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلَّع"[٥].

وفي الختام تحسن الإشارة إلى احتواء (تفسير الشعراوي) على مادة ثرية في البلاغة القرآنية، مقدَّمة بقالب سهل ميسور، مناسب للعامة[٦]

---

(١) صدرت مؤخرًا في (١٧) جزءًا، عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

(٢) انظر: تعريف الدارسين، للخالدي: ص٥٤٢.

(٣) انظر: مدخل لتفسير التحرير والتنوير، للحمد: ص٦١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/٨.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر: الشيخ محمد متولي الشعراوي ومنهجه في التفسير، للقميحي: ص١٠٤.

المبحث السادس: الاتجاه العلمي

لا أريد الدخول في التفاصيل التي ذكرها الباحثون في المراد بكل من التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وهل بينهما فرق أم لا؟ والاعتراض على تسمية هذا الاتجاه باسم (العلمي)، وأن الأدق تسميته (العلمي التجريبي) على التقييد، إلى غير ذلك من التفاصيل(١).

وإنما المقصود هنا بيان المراد به في هذا البحث، وهو: التفسير الذي يعتني صاحبه بذكر العلوم التجريبية في تفسير آيات القرآن، وله به اهتمام خاص(٢)، والمراد هنا أيضًا ذكر التفاسير الكاملة للقرآن، وليست التفاسير الخاصة بآيات معينة، من الآيات المتعلقة بالاتجاه العلمي.

وكأن هناك شبه اتفاق بين الباحثين على أن التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، هو أول تفسير بهذا الوصف(٣)، والظاهر أن هذا هو سبب ما ورد عليه من إنكار لصنيعه هذا في تفسيره؛ وذكره في قوله: "ربما جاء بعض الجهال والحمقى، وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله تعالى من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله، حق التأمل؛ لعرفت فساد ما ذكرته..."(٤)، ثم أخذ في تقرير الوجوه التي دعته لهذا المسلك.

وقد أخذ عن الرازي شيئًا من هذا الاتجاه، لكن بشكل مقتصد، أو مقتصدٍ جدًا: المفسرون الذين تأثروا بتفسيره، كالبيضاوي في (أنوار التنزيل)، والقمي النيسابوري في (غرائب القرآن)، وابن عادل في (اللباب)، والآلوسي في (روح المعاني)(٥).

أما في العصر الحديث فقد كثرت التفاسير التي اعتنت بهذا الاتجاه بشكل كبير، نظرًا لازدهار هذه العلوم التجريبية على يد أصحاب الحضارة الغربية؛ فرجع المسلمون وعلماؤهم ومفسروهم يبحثون عن دلالات قرآنية على تلك العلوم التجريبية، ولأجل ذلك فقد اعتبره بعض الباحثين من الاتجاهات المعاصرة في التفسير(٦).

لكن جاءت معظم الكتابات في هذا الاتجاه على هيئة كتابات جزئية موضوعية، وليست تفاسير كاملة للقرآن الكريم(٧)، وكان أول تفسير كامل يمثل هذا الاتجاه: كتاب (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) لطنطاوي جوهري، وهو تفسير منتقد لمبالغته الشديدة في هذا الاتجاه، ولما فيه من بعد كبير عن الضوابط العلمية والمنهجية للتفسير(٨).

لكن بعضًا من مشاهير المفسرين في هذا العصر، قد أخذوا من التفسير العلمي بالقدر المعتدل؛ مثل: القاسمي في (محاسن التأويل)، والطاهر ابن عاشور في (التحرير والتنوير).

(١) انظر في تفاصيل ما ذكر: التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، للشدي: ص٨، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لمرهف سقا: ص٢١.

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) انظر: التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، للشدي: ص٢٥، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لمرهف سقا: ص١١٩.

(٤) التفسير الكبير، للفخر الرازي: ١٤/١٢١.

(٥) انظر: التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، للشدي: ص٢٦، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لمرهف سقا: ص١٢٣.

(٦) انظر: التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، للشدي: ص٢٧.

(٧) انظر: اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، للرومي: ٢/٦٠٤، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، للشدي: ص٢٩.

(٨) انظر دراسة موسعة لهذا التفسير في: اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر، للرومي: ٢/٦٣٨.

ومن المدارس التفسيرية المعاصرة التي أخذت بقدر من هذا الاتجاه، وروَّجت له: (المدرسة العقلية الحديثة في التفسير)، وسيأتي ذكرها بشيء من التفصيل في المبحث التالي، وبعض الباحثين يرى أن استعمال هذه المدرسة للتفسير العلمي كان بطريقة منحرفة[1].

ومن تفاسير القرن الخامس عشر التي اعتنت بذكر التفسير العلمي باختصار – مع كونه تفسيرًا موجزًا وموجهًا لعامة الناس: تفسير (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وربما أن هذه العناية بهذا الجانب جاءت من تأثر القائمين على هذا التفسير بالمدرسة العقلية الحديثة السابق ذكرها[2]، وسار على الفكرة ذاتها، تفسير وجيز آخر هو (تفسير المدينة المنورة) الصادر عن مركز تعظيم القرآن الكريم بالمدينة المنورة[3].

وأخيرًا، فإن من العلماء المعاصرين الذين لهم عناية كبيرة بالتفسير العلمي: الشيخ محمد راتب النابلسي، في تفسيره الموسوم بـ (تفسير النابلسي: تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة)[4]، وهناك غيره كثيرون لكن لم أقف لهم على تفسير كامل للقرآن.

المبحث السابع: الاتجاهات المعاصرة

اتجاهات التفسير في العصر الحاضر عديدة، وقد كتبت فيها دراسات خاصة، من أشهرها دراستان سبق ذكرها في آخر التمهيد، وسأكتفي هنا بالإشارة إلى المشهور من تلك الاتجاهات بشكل مختصر، بما يتناسب مع طبيعة هذا البحث، وذلك على النحو التالي:

الاتجاه الأول: الاتجاه العقلي المعاصر: وأكثر ما يتمثَّل هذا الاتجاه فيما يسمَّى بـ (المدرسة العقلية "الاجتماعية" الحديثة في التفسير)[5]، وهي المدرسة التي أسَّسها على الحقيقة: الشيخ المصري الإمام محمد عبده، وقام بنشر تفسيرها تلميذه السيد محمد رشيد رضا، في تفسيره المسمى (تفسير القرآن الحكيم) الذي اشتهر باسم (تفسير المنار)، وتسمى هذه المدرسة أيضًا بمدرسة المنار نسبة إليه.

ومن أشهر تفاسير أصحاب هذه المدرسة – بعد تفسير المنار: (تفسير المراغي) لأحمد مصطفى المراغي، و(المصحف المفسَّر) لمحمد فريد وجدي، وهذان التفسيران هما الوحيدان المكتملان من تفاسير هذه المدرسة، وهناك أيضًا (تفسير القرآن الكريم) لمحمود شلتوت.

وقد درس هذه المدرسة دراسة وافية: الدكتور فهد الرومي في دراسته (المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) وهي رسالته للماجستير، ثم درسها مرة أخرى ضمن دراسته الأوسع (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) وهي رسالته للدكتوراه، وسماها فيها (المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير)، وخلص في حكمه عليها إجمالًا:

---

(١) انظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لمرهف سقا: ص١٥١.

(٢) انظر: المصدر السابق: ص١٧٣، وانظر دراسة عن هذا التفسير في: التفاسير المختصرة، للبركة: ص٨٥١.

(٣) انظر: تفسير المدينة المنورة: ١/ب.

(٤) صدر في (١٤) جزءًا، عن مؤسسة الفرسان الأردنية.

(٥) انظر: مناهج المفسرين، للحميضي: ص١٢٧.

بأنها مدرسة ذات منهج منحرف، لتحكيمها العقل على النص، وهي بهذا تعتبر امتدادًا للمدرسة العقلية القديمة (المعتزلة)، لكنها تزيد عليها أيضًا محاولة المواءمة بين النصوص الشرعية وعلوم الحضارة الغربية المعاصرة ومكتشفاتها، وتطويع الدين الإسلامي لمواكبتها وليس العكس[١].

الاتجاه الثاني: اتجاه التفسير الموضوعي[٢]: وهو في أصله موجود في مؤلفات المتقدمين، لكن من حيث المصطلح والتأصيل المنهجي لم يظهر إلا في العصر الحاضر، وللتفسير الموضوعي أنواع أو مجالات، أشهرها اثنان: الموضوع القرآني، والسورة القرآنية.

ويمكن التمثيل للنوع الأول (الموضوع القرآني) بتفسيرين:

١- (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) للشيخ عبدالرحمن السعدي[٣].

٢- (موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) الصادرة عن مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض، وتناولت بالدراسة (٣٥٤) موضوعًا قرآنيًا[٤].

أما النوع الثاني (السورة القرآنية) فيمكن التمثيل له بتفسيرين:

١- (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم)، الصادر عن جامعة الشارقة، إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: د. مصطفى مسلم محمد[٥].

٢- (التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم)، لعبد الحميد محمود طهماز[٦].

والمؤلفات التي درست هذا الاتجاه كثيرة، ومن آخرها وأكثرها تحريرًا: كتاب (المدخل إلى التفسير الموضوعي) للدكتور إبراهيم الحميضي[٧].

الاتجاه الثالث: اتجاه التفسير بحسب ترتيب النزول: وجميع التفاسير في هذا الاتجاه معاصرة، وهي أربعة تفاسير:

١- (بيان المعاني) لعبد القادر ملا حويش آل غازي العاني.

٢- (التفسير الحديث) لمحمد عزت دروزة.

٣- (معارج التفكر ودقائق التدبر) لعبدالرحمن حسن حبنَّكة الميداني.

٤- (فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول) لمحمد عابد الجابري.

وقد انتقد الدارسون هذا الاتجاه، لأن فكرته مقتبسة من المستشرقين، ولأنها تفضي إلى القول بتاريخية القرآن، لا بصلاحيته المتجددة لكل زمان ومكان، ولغير ذلك.

---

(١) انظر: المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للرومي: ص٨١٠، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، للرومي: ٢/٧٠١.

(٢) انظر: مناهج المفسرين للحميضي: ص١٠٢.

(٣) انظر: بحثًا بعنوان (منهج الشيخ السعدي في التفسير الموضوعي من خلال كتابيه فتح الرحيم وتيسير اللطيف)، للدكتور محمد العواجي.

(٤) وتقع في (٣٦) جزءًا، ولها موقع على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)، وتطبيق على الهواتف الذكية، وانظر تعريفًا واسعًا بها في مقدمتها: ١/١٧.

(٥) صدرت عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، وتقع في عشرة أجزاء.

(٦) صدرت طبعته الثانية عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، في ثمانية أجزاء.

(٧) انظر: ص٢٣، حيث ذكر مجموعة من الدراسات والمؤلفات في هذا الاتجاه.

وأوسع دراسة لهذا الاتجاه: هي التي بعنوان (تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم) للدكتور طه محمد فارس، وأصلها رسالة دكتوراه.

الاتجاه الرابع: الاتجاه الحداثي أو العلماني: ويسمى أيضًا بالقراءات المعاصرة أو العصرانية أو الجديدة أو الحديثة للقرآن، ومرادهم بالقراءة هنا: الفهم والتفسير، وهو منهج يعتمد على تفسير القرآن وفق المناهج والنظريات الغربية الحداثية أو الحديثة في تفسير النصوص.

وليس لأصحاب هذا الاتجاه تفسير كامل للقرآن، سوى التفسير المسمى (فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول) لمحمد عابد الجابري، وقد سبق ذكره في الاتجاه السابق.

وهو منهج شديد الانحراف، وأصحابه ليس لهم حظ من العلوم الشرعية والعربية، بل إن كثيرًا منهم كان يتقصَّد تحريف معاني القرآن، حتى اتهم بعضهم بالكفر والزندقة(١).

وقد قامت كثير من الجهود العلمية النقدية لأصحاب هذا الاتجاه وأطروحاتهم، كان من أبرزها دراستان(٢):

١- (العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص) لأحمد إدريس الطعان، وأصلها رسالة دكتوراه.

٢- (التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم: عرض ونقد) لمنى محمد بهي الدين الشافعي، وأصلها رسالة ماجستير.

الخـاتمة:

بعد هذا الاستعراض المختصر لأبرز الاتجاهات العلمية لكتب التفسير، بحسب ما سمحت به طبيعة هذا البحث، القائمة على التركيز والإيجاز، يمكن الإشارة إلى **أهم ما تبين لي من نتائج** على النحو التالي:

١- جاءت الاتجاهات العلمية المدروسة في هذا البحث في سبعة اتجاهات إجمالية، هي: الاتجاه الإسنادي والحديثي، والاتجاه العقدي، والاتجاه الفقهي، والاتجاه اللغوي والنحوي، والاتجاه البلاغي، والاتجاه العلمي، والاتجاهات المعاصرة، وتحتها أربعة: الاتجاه العقلي المعاصر، واتجاه التفسير الموضوعي، واتجاه التفسير بحسب ترتيب النزول، والاتجاه الحداثي.

٢- كان الاتجاه اللغوي والنحوي أكثر الاتجاهات حضورًا في كتب التفسير، مع اختصاصه بتفاسير خاصة لم تُذكر في هذا البحث لخروجها عن حدوده، والظاهر أن سبب ذلك يعود إلى أن (التفسير اللغوي) من أوسع الأصول التي يقوم عليها علم التفسير عمومًا.

٣- أكثر الاتجاهات خطورة وأهمية هو الاتجاه العقدي؛ نظرًا لكون المخالف فيه مبتدعًا، يُحذَّر من مطالعة تفسيره إلا لعالم يمكنه التحرُّز مما فيه، ولذلك فقد كثرت الكتابات في التعقبات والردود على المخالفات فيه، وخصوصًا على تفسير (الكشاف) للزمخشري من المتقدمين، كما جاءت معظم كتابات المعاصرين وتعقباتهم في موضوع (الصفات الإلهية).

---

(١) انظر: مناهج المفسرين، للحميضي: ص١٩١، ١٩٧.

(٢) انظر: بحثًا بعنوان (الجهود النقدية للقراءات المعاصرة للقرآن الكريم – رصد وتحليل) لمحمد البركة، وهو بحث منشور في: مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بجدة، العدد(٢٧).

٤- ليس هنالك ارتباط بين الاتجاهين العقدي والفقهي عند المفسرين، فقد يكون المفسر معتزليًا في الاعتقاد، لكنه حنفي في مذهبه الفقهي؛ كما هو حال الزمخشري في (كشافه)، وكأبي منصور الماتريدي في تفسيره (تأويلات أهل السنة)؛ حيث كان مؤسس المذهب الماتريدي في الاعتقاد، وكان حنفيًا في مذهبه الفقهي أيضًا، وأمثلة ذلك كثيرة.

٥- جاءت بعض كتب التفسير ممثِّلة تمثيلًا حقيقيًا لبعض الاتجاهات، حتى إنه لا يذكر الاتجاه إلا ويذكر ذلك الكتاب معه، ومن ذلك: تفسير الطبري في الاتجاه الإسنادي، وتفسير ابن كثير في الاتجاه الحديثي، وتفسير الفخر الرازي في الاتجاه العقدي، وفي الاتجاه العلمي القديم، وتفسير الجواهر في الاتجاه العلمي الحديث، وكشاف الزمخشري في الاتجاه العقدي المعتزلي، وفي ريادته للاتجاه البلاغي، والتحرير لابن عاشور في كونه خاتمة التفاسير البلاغية وأوسعها، والجامع للقرطبي في الاتجاه الفقهي، والبحر لأبي حيان في الاتجاه النحوي، والمدرسة العقلية الحديثة في الاتجاه العقلي المعاصر.

٦- ثلاثة من الاتجاهات الأربعة المعاصرة توجهت لها سهام النقد أو الوصف بالانحراف، وهي: الاتجاه العقلي المعاصر (المدرسة العقلية الحديثة)، واتجاه التفسير بحسب ترتيب النزول، والاتجاه الحداثي، والأخير منها هو أشدها انحرافًا، وأكثرها في الكتابات النقدية عليه.

توصيات البحث:

توصيات هذا البحث فأمران:

١- تبيَّن بأن موضوع الاتجاهات العلمية لكتب التفسير لم يحضَ بالدراسة الوافية عند أصحاب مناهج المفسرين واتجاهات التفسير، وذلك من حيث الاقتصار فيها على التمثيل بالتفاسير الخاصة بتلك الاتجاهات، دون ذكر كتب التفسير العامة المعتنية بها، وهو ما يوصي هذا البحث بالعناية به والتوسع فيه.

٢- توجيه الباحثين في الدراسات القرآنية خصوصًا، وغيرهم ممن يحتاج مراجعة كتب التفسير، إلى العناية بمعرفة وتحرير الاتجاهات العلمية لها؛ لأن ذلك سيعينهم على تصنيف كتب التفسير بصورة أكثر دقة وفائدة، وسيعطيهم تصورًا إجماليًا لخارطتها وإدراك العلائق بينها تأثرًا وتأثيرًا، ثم فيما يترتب على ذلك من تسهيل البحث عن المعلومات التي تعود لأحد تلك الاتجاهات، وإمكان دراسة تسلسلها التاريخي عبر التفاسير المتناقلة ذات الاتجاه الواحد في الغالب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. د. فهد بن عبدالرحمن الرومي. ط١، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.: (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث. للدكتور عادل بن علي الشدي، ط١. مدار الوطن للنشر: (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها. للدكتور محمد حسين الذهبي. ط٣، مكتبة وهبة: مصر، (١٤٠٦/١٩٨٦م).

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. عالم الكتب: بيروت، بدون معلومات نشر.

الأطوار العقدية للمذهب الأشعري. د. عبدالله بن دجين السهلي. ط١، دار كنوز إشبيليا: الرياض، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. د. مساعد بن سليمان الطيار. ط١، دار ابن الجوزي: الدمام، (١٤٢٢هـ).

بحوث في أصول التفسير ومناهجه. د. فهد بن عبدالرحمن الرومي. ط٥، مكتبة التوبة: الرياض، (١٤٢٠هـ).

تحريف معاني الألفاظ القرآنية. لعميرة بنت حمد الرشيدي. من إصدار الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ط١، دار كنوز إشبيليا: (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

التسهيل لعلوم التنزيل. لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي. وبهامشه: التعليقات على المسائل العقدية للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، تحقيق: د. علي بن حمد الصالحي، ط١، دار طيبة الخضراء: مكة، (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

تعريف الدارسين بمناهج المفسرين. د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. ط١، دار القلم: دمشق، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

تعقيبات وملاحظات على صفوة التفاسير. للدكتور صالح بن فوزان الفوزان. منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

التعليق على المخالفات العقدية في تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل. للشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله الراجحي. ط١، مؤسسة عبدالعزيز الراجحي الوقفية: (١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م).

التعليقات على المسائل العقدية في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي. أملاها: عبدالرحمن ابن ناصر البراك، ط٢، مؤسسة وقف الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك: (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م).

تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول: دراسة وتقويم. د. طه محمد فارس. ط١، دار الفتح: الأردن، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

التفاسير المختصرة: اتجاهاتها ومناهجها. لمحمد بن راشد البركة. كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود، ط١، (١٤٣٦هـ).

تفاسير آيات الأحكام ومناهجها. د. علي بن سليمان العبيد، ط١، دار التدمرية: الرياض، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

التفسير الإشاري: ماهيته وضوابطه. د. مشعان سعود عبد العيساوي. ط١، دار الكتب العلمية: لبنان، (١٤٤٣هـ/٢٠١٣م).

التفسير البسيط. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، (١٤٣٠هـ).

تفسير السلف: تاريخه وأعلامه ومصادره. د. خالد بن يوسف الواصل. ط١، دار وقف أضواء الشاطبية: جدة، (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م).

التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم: جذوره وتطبيقاته والموقف منه. د. عادل بن علي الشدي. ط١، مدار الوطن للنشر: الرياض، (١٤٣١هـ).

التفسير الكبير. للإمام الفخر الرازي. ط٣، دار إحياء التراث العربي: بيروت، بدون تاريخ.

التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم. لعبد الحميد محمود طهماز. ط٢، دار القلم: دمشق، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. بإشراف: د. مصطفى مسلم محمد، ط١، جامعة الشارقة: الإمارات العربية المتحدة، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

تفسير النابلسي. لمحمد راتب النابلسي. ط١، مؤسسة الفرسان: الأردن، (٢٠١٧م).

التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ضوابط وتطبيقات. د. مرهف عبدالجبار سقا. ط١، دار محمد الأمين: سوريا، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

التفسير ورجاله. للأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور. ط١، دار سحنون: تونس، دار السلام: القاهرة، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن. د. أحمد بن محمد البريدي. ط٢، مكتبة الرشد: الرياض، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).

جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار. للعلامة عبدالقادر بن أحمد بدران. تحقيق: زهير الشاويش، ط١، المكتب الإسلامي: سوريا، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. لعزّ الدين عبدالرزاق الرسعني. تحقيق: عبدالملك بن عبدالله ابن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي: مكة، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

سير أعلام النبلاء. لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: د. بشار معروف، د. محيي سرحان، ط٨، مؤسسة الرسالة: (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية. لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ. ط١، مكتبة دار المنهاج: الرياض، (١٤٣٢هـ).

الشيخ محمد متولي الشعراوي ومنهجه في التفسير. د. عثمان أحمد عبدالرحيم القميحي. ط١، دار السلام: مصر، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

العجاب في بيان الأسباب. لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس، ط١، دار ابن الجوزي: الدمام، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

عذب الغدير في بيان التأويلات في كتاب فتح القدير. د. محمد بن عبدالرحمن الخميِّس. ط١، دار الصميعي: الرياض، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

علم إعراب القرآن: تأصيل وبيان. د. يوسف بن خلف العيساوي. ط١، دار الصميعي: الرياض، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: مختصر تفسير القرآن العظيم. لأحمد محمد شاكر. ط٢، دار الوفاء: مصر، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

فتح الرحمن في تفسير القرآن. لمجير الدين العليمي المقدسي الحنبلي. تحقيق: نور الدين طالب، ط١، دار النوادر: سوريا، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

مجلة البحوث والدراسات القرآنية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السنة(١)، العدد(١)، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، الإمارات، العدد(١٦)، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد(٢٧)، السنة(١٤)، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

المدخل إلى التفسير الموضوعي. د. إبراهيم بن صالح الحميضي. ط٥، دار ابن الجوزي: الدمام، (١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م).

المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل. لعبد القادر بن بدران الدمشقي. تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط٢، مؤسسة الرسالة: لبنان، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور. لمحمد بن إبراهيم الحمد. ط١، دار ابن خزيمة: الرياض، (١٣٢٨هـ/٢٠٠٧م).

مسامرة الكشاف بين مراقي تحليله ومهاوي تأويله. د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر. ط١، دار ابن الجوزي: الدمام، (١٤٤٢هـ).

المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات. لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي. ط١، مؤسسة الرسالة: لبنان، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير. د. مساعد بن سليمان الطيار. ط١، مركز تفسير للدراسات القرآنية: الرياض، (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

مقدمة ابن خلدون. للعلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون. تحقيق: د. علي عبدالواحد وافي، ط٣، دار نهضة: القاهرة، مصر، بدون تاريخ نشر.

مقدمة في أصول التفسير. لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق: د. عدنان زرزور، ط٣، دار القرآن الكريم: بيروت، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

مناهج المفسرين. د. إبراهيم بن صالح الحميضي. ط١، دار ابن الجوزي: (١٤٤٠هـ).

منهج الشيخ السعدي في التفسير الموضوعي من خلال كتابيه فتح الرحيم وتيسير اللطيف: دراسة وتحليل. للدكتور محمد بن عبدالعزيز العواجي، بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: واقع وآفاق، جامعة الشارقة: الإمارات العربية المتحدة، (١٤٣٠-١٤٣١هـ).

منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. د. فهد بن عبدالرحمن الرومي. ط٥، مكتبة الرشد: الرياض، (١٤٢٢هـ).

موسوعة التفسير المأثور. المشرف العلمي: د. مساعد بن سليمان الطيار. ط١، مركز الدراسات والمعلومات بمعهد الإمام الشاطبي بجدة: (١٤٣٩هـ/٢٠١٧م).

موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. إشراف وتحرير: ط١، مركز تفسير للدراسات القرآنية: الرياض، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).